التعريب

(تتمة ما سبق)

وقد قدَّمنا ان التعريب اكثر ما يقع في اسمآء الاجناس لانها موضع التفاوت بين اللغات على الغالب واليها ترجع تسمية كل مُحدَثٍ من المخترعات والمكتشفات على اختلاف ضروبها وهناك سلسلةٌ من المعاني لا تنتهي ولا يقف فيها الوضع عند حدّ وبخلافها الصفات فانها لا يقع فيها هذا التفاوت لشيوعها بين الموصوفات وصلاحيتها للنقل من موصوفٍ الى آخر ولو من طريق المجاز . وهذه الاسمآء على ضربين احدهما اسمآء الجواهر المخلوقة بسيطةً كانت كالاكسيجين والفصفور والكربون او مركبةً كالزمرُّد والزاج والبترول ويتصل بها اسمآء انواع النبات والحيوان كالنارنج والنيلوفر والباشق والسقنقور مما لا مرادف لهُ عندنا . ويلحق بالقسمين الاخيرين ما اشبههما من اجناس المصنوعات مما يتميز بتركيبهِ كالسَمَنْت والسكنجبين او بهيئتهِ كالديباج والتفتة وهي اشهر ما في هذا الباب . وجميع هذه الاسمآء لا يتأتى نقلها على الغالب الا محكيَّةً بلفظها لانها اما ان تكون مرتجلةً اي لم يسبق استعمالها في معنىً آخر فلا سبيل الى تعريبها بالمرادف واما ان تكون شبيهةً بالمرتجلة وهي ما كانت مجهولة الاصل كالشمپانزي للحيوان المعروف او كانت منقولةً عن معنىً سابق الا ان لفظها لا يدلّ بنفسهِ على المعنى الذي نُقلت اليهِ وانما تعينت لهُ بالعُرف والاستعمال فاذا عُرّبت بمرادفها لم يُفهم منهُ المعنى المقصود بها الا بعد النصّ عليهِ . وبيان ذلك انك اذا

اخذت لفظ الفصفور مثلاً وجدتهُ مركباً من كلمتين معنى مجموعهما حامل النور ولا يخفى ان هذا اللفظ يصدق على كل مادةٍ مضيئة من المعادن وغيرها فتقييدهُ بالمادة المسماة بهِ ليس من مفاد اللفظ في شيءٍ وانما هو مجرَّد تواطؤٍ واصطلاح . وكذا لفظ اليود فان معناهُ في الاصل البنفسجي سمي بذلك لان بخارهُ يضرب الى اللون البنفسجي وفي هذه التسمية من بُعد الدلالة ما لا يخفى لانها ليست من ماهية المسمى ولا من اعراضهِ . وربما جآء ما هو ابعد من ذلك كالبلاتين للمعدن المعروف فانهُ في الاصل مصغَّر بلاتا وهي الفضة بالاسبانيولية سموهُ بذلك لانهم ظنوهُ في اول الامر صنفاً من الفضة الدنيئة كما ظنهُ غيرهم صنفاً من الذهب فسماهُ بالذهب الابيض فلو عربناهُ بالفضة الصغرى او باللُجَين مثلاً لم يتأتَّ صرفهُ الى المقصود الا بعد اخراج هذين اللفظين عن معناهما الوضعي لان البلاتين ليس في شيءٍ من الفضة وانما هو معدنٌ بحالهِ وقس على ذلك في اكثر هذه الاسمآء

والضرب الثاني من اسمآء الاجناس اسمآء المصنوعات المختلفة من الادوات والاثاث والماعون وغير ذلك من اشيآء الحضارة ومرافق العمران والآلات العلمية والصناعية وهذه واشباهها لا يتعيَّن ان يعرَّب اللفظ الموضوع لها بمرادفه ولكن يكفي ان يعبَّر عنها بما يدلّ عليها ولو من طريق العُرف لان هذه المذكورات انما تُصنَع لضروبٍ من الاغراض ويُتوخى بها وجوهٌ من الاستخدام فيُشتقّ لها لفظٌ يدلّ على معنىً من المعاني التي تُعتبر فيها او يستعار لها لفظٌ يجمع بينها وبينهُ علاقةٌ من علائق المجاز على

ما سنفصلهُ في موضعهِ ان شآء الله . وحينئذٍ فهذه المسميات كلها تُعتبر تسميتها من قبيل الوضع الابتدآئي سوآء وافقت اللفظ الموضوع لها ام لم توافقهُ لان هذه الموافقة ليست شرطاً في صحة الاستعمال . ومن امثلة ذلك في المعرَّبات العصرية نحو المنطاد للبالون فانهُ أُخذ من معنى الارتفاع لصدقهِ عليهِ وان لم يطابق معنى اللفظ الاصلي . ومثلهُ الرقّاص للبندول والمأساة للتراجيدية والمِجهَر للمكرسكوب والمِرقَب للتلسكوب والمسدَّس للرفلڤير وغير ذلك . ونحو اللهاة لضربٍ من الصمام يُفتَح من احدى جهتيهِ ويُطبَق من الاخرى على التشبيه بلهاة الحيوان وهو معرَّب valve والضلَع لما بين الخطين من خطوط الطول على الكرة تشبيهاً لهُ بضلع البطيخ ونحوهِ وهي الحُزّة منهُ لموافقتهِ لها في الشكل وهو معرَّب fuseau ومعناهُ المُغزل ومأخذهُ عندهم على التشبيه ايضاً . وربما عُرِّب الشيء بما يقاربهُ او بما يدخل تحتهُ لا بما هو نفسهُ نحو الجناح للبلكون وهو في الاصل نحو الرفّ يتصل بحائط البنآء وكالحُوذيّ بالضم لسائق خيل العربة معرَّب cocher وهو في الاصل الطارد المستحثّ على السير وكالمجلّة لهذه الكراريس التي تُصدَر في مواقيت مقدَّرة معرَّب revue وهي في الاصل الصحيفة فيها الحكمة وقيل كل كتابٍ عند العرب مجلّة وقس على كل ذلك

هذا في الاسمآء واما الافعال فلا يجوز ان يعرَّب شيءٌ منها بلفظهِ لانهُ فضلاً عن ان للافعال عندنا ابنيةً مخصوصة لا توافقها الاوضاع الاعجمية فانها معرَّضة للتصريف والاشتقاق وانواع الزيادات ولكلها اوزانٌ وقوالب لا تخرج عنها بحال . وحينئذٍ فلا بدّ في الفعل المعرَّب من

تعبيرٍ كثير حتى ينطبق على هذه الاحكام فضلاً عما يلزم احياناً من تبديل بعض مقاطعهِ على ما تقدم بحيث يتنكر لفظهُ جملةً ويعود كانهُ ضربٌ من الارتجال وفي ذلك من التداخل والفساد ما لا يخفى · وزيادةً على ذلك فانّ الافعال في العربية هي اصل اكثر الفاظها لانها لغةٌ اشتقاقية كما نبهنا عليهِ غير مرة فمنها اكثر اسمآء الذوات والصفات بحيث انك لو اسقطت كل مشتقٍ في العربية لم يبقَ من اللغة الا اقلّ من العشر وحينئذٍ فكل فعلٍ أُدخل من اللغات الاعجمية دخل معهُ بالضرورة المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسما المكان والزمان واسم الآلة ان كان مما يُبنَى منهُ فضلاً عن المزيدات وتصاريفها فلزم ان يخالط اللغة بكل فعلٍ اجنبيّ سلسلة طويلة من الالفاظ بين افعالٍ واسمآء فتنكرت اللغة وفسدت اوضاعها بكثرة الدخيل · ولذلك لا يمكن ان يُتسامح في الافعال بما يُتسامح بهِ في الاسمآء لان جل ما يقع فيها من التصريف التثنية والجمع ولا يلزمها زيادةً على ذلك الا ان تكون اواخرها صالحةً للاعراب · ولهذا فانك اذا تفقدت الكلم المعرَّبة من عهد الجاهلية لم تكد تجد فيها فعلاً معرَّباً الا ما كان عن الحبشية او العبرية مثلاً وقد ذكروا من ذلك افعالاً وردت في القرآن منها قولهُ يا ارض ابلعي مآءكِ قالوا بلع كلمة حبشية ومثلها غِيضَ من قولهِ غِيض المآء · ومنها قولهُ اخلد الى الارض قال السيوطي قال الواسطي اخلد الى الارض ركن بالعبرية وكذا الرمز من قولهِ لا تكلم الناس الا رمزاً قال الرمز تحريك الشفتين بالعبرية ايضاً مع ان اخلد لم يرد في العبرية اصلاً لكن ورد في السريانية حلد في

الارض (بالحآء المهملة وهي ترادف المعجمة عندنا) اسيء حفر وبحث كما يفعل الخلد ولا معنى هناك للركون وكذلك الرمز ليس في شيء من العبرية لكن جآء في السريانية بمعنى الاشارة باليد او بالعين . على ان توارد العربية واحدى اخواتها على لفظةٍ لا يتعين منهُ ان تكون اللفظة دخيلة في احداهنَّ لجواز ان تكون من الوضع المشترك اللهمَّ الا ان يثبت ان العرب لم ينطقوا بهذه الالفاظ قبل ورودها في القرآن وهو مستبعد

بلى لا يُنكَر وجود افعالٍ في كلامهم ليست من اوضاع العرب الا انها مشتقةٌ من اسمآء معرَّبة لا معرَّبةٌ عن افعال اعجمية والامثلة من هذا النوع كثيرة كقولهم زوَّق الشيء اذا حسَّنهُ وزينهُ مأخوذ من الزاووق وهو الزئبق قال في القاموس لانهُ يُجعَل مع الذهب فيُطلَى بهِ فيدخل النار فيطير الزاووق ويبقى الذهب ثم قيل لكل منقَّش ومزيَّن مزوَّق . وقولهم طعامٌ مقنود ومقنَّد اذا عُمِل بالقَند والقَنديد وهو عسل قصب السكَّر اذا جُمِّد قال في القاموس وهو معرَّب كند . وقولهم سمسر سمسرةً من السمسار وهو المتوسط بين البائع والشاري . وقولهم جزَف وجازَف اذا اخذ الشيء بلا كيلٍ ولا وزنٍ وقد اجتزف الشيء اذا اخذهُ كذلك كلهُ من الجُزاف معرَّب كزاف . وكذا قولهم تزندق الرجل وتمجَّس وتهوَّد وتلمذ لفلان وجوربهُ وتجورب وتطلس وسجَّل الحكم وطرَّز الثوب الى غير ذلك . ولكن كل هذه الافعال لم تُشتق من الاعجميّ الا بعد تعريبهِ وجريهِ على ألسنة العرب حتى صار كانهُ من اوضاعها وحينئذٍ صار تمجَّس مثلاً اي انتحل المجوسية بمنزلة تعرَّب وتمعدد وطعامٌ مقنود

بمنزلة معسول ومملوح وتجورب وتطلس بمنزلة تجلبب وتمنطق وهلمّ جرًّا ·
وبهذا تعلم ما في استعمال بعضهم لفظ المناورة في تعريب manœuvre
وهو نوعٌ من المثاقفة ولم ترد المناورة في اللغة الا بمعنى المشاتمة وكأنها
مشتقةٌ من النوَر ··· واستعمال الآخَر لفظ بَتَنَ في تعريب to patent
وهو ما اصطلح اهل العصر على تسميتهِ بالامتياز فقال بَتَنَ فلانٌ اختراعهُ
اي امتاز بهِ ثم ساق بقية تصاريف هذه الكلمة فقال بتنهُ يبتنهُ بتناً وهو
باتن والاختراع مبتون وهلمّ جرًّا وهي نهاية الفهاهة والجهل باحكام اللغة

ونقف عند هذا القدر في التعريب وهو كافٍ في مقام التبصرة وبقي
من هذا البحث الكلام على المجاز والنحت وسنفرد لهما موضعاً في الاجزاء
التالية ان شآء الله

وهذا جدولٌ اثبتنا فيهِ اشهر الالفاظ التي عرَّبها كتّاب العصر مما
حسن وقعهُ او اقرّهُ الاستعمال نسوقها على ترتيب حروف المعجم [1]

* الأُربة	Cravate	الباخرة	Bateau à vapeur
* الاستعهاد	Assurance	* البائنة	Dot
الاستقطاب	Polarisation	البطّارية	Batterie
الاستمرار	Inertie	البطاقة	Carte
* الأُسرُب	Plombagine	البهو	Salon
الاشتراك	Abonnement	البؤرة	Foyer
* الأُنبوبيات	Bacilles	* البيئة [2]	Milieu

(١) كل لفظةٍ كان الى جانبها كوكب فهي من معرَّباتنا الخاصة (٢) راجع الطبيب ص٥

* التألق	Phosphorescence
* التبليد	Acclimatation
الثِقاب	Allumette
الجريدة	Gazette
* الجناح	Balcon
* الحاكي	Phonographe
* الحسآء	Soupe
* الحسَر [١]	Myopie
* الحُوذيّ	Cocher
* الدُرّاجة	Bicyclette
* الدريئة	Écran
* الذُريرات	Microcoques
* الراجبيات	Bactéries
* الرَثية	Rhumatisme
الرَدهة	Salle
الرصيف الكهربآئي	Pile
* الرعّاد [٢]	Torpille
الرقاص	Pendule

السديم	Nébuleuse
* السُفَع	Taches (du soleil)
* الشاري	Paratonnerre
* الشبنزَى	Chimpanzé
* الشِحنة	Police
* الشِعار	Armoiries
* الشعرية	Brosse
* الضلع [٣]	Fuseau
* الطارئة	Colonie
* الطبرخي	Gutta-percha
* الطلآء	Vernis
الطيف	Spectre
العِدسية	Lentille
الكبو	Nutation
* الكِفاف	Cadre
* الهاة	Valve
* اللولب	Vis
* المأساة	Tragédie

(١) راجع الطيب ص ٥٦ (٢) راجع البيان ص ١٩٨ (٣) راجع البيان ص ٣٨٧

* المتمعجات	Vibrions	* المصلَّد[1]	Imperméable
* المجلَّة	Revue	المضخّة	Pompe
المِجهَر	Micrcscope	* المقصف	Buffet
* المحبب	Granit	* المِقصلة	Guillotine
المحترَق	Foyer	* المِنضحة	Douche
المِدفع	Canon	المنطاد	Ballon
المِرقب	Télescope	* النابض	Ressort
المسدَّس	Revolver	النسّاف	Dinamite
المِشجب	Portemanteau	النُقاعيات	Infusoires

هذا ما حضرنا من هذه الالفاظ جمعناهُ على غير استقصآء وكان بودنا ان نعزو كل لفظة الى معرّبها ولكنا لم نوفَّق الى معرفة ذلك الا في الفاظٍ قليلة منها ومأمولنا في ارباب المطالعات ان يتحفونا بما يقعون عليهِ مما فاتنا ذكرهُ لنثبتهُ فيما يجيء ان شآء الله وبالله التوفيق

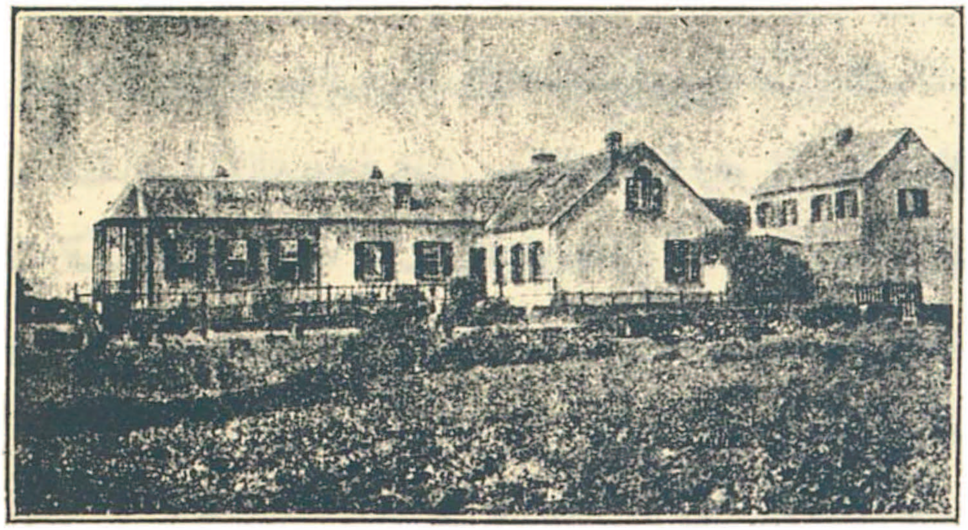
جزيرة القديسة هيلانة

ليس في سكان المعمور من لم يقرع سمعهُ ذكر هذه الجزيرة الحقيرة بل الصخرة الموحشة المنفردة في اطراف الاتلنتيك بما اتصل بها من الحادث الشهير وهو نفي ناپوليون الاول اليهـا في اوائل هذا القرن بعد وقوعهِ في قبضة الدولة الانكليزية على ما لا يجهلهُ احدٌ من تاريخهِ وقد تجد ذكرها

(١) راجع الضيآء السنة الاولى ص ٥٢٣

في هذه الايام بحادثٍ آخر من مثلهِ وهو نفي القائد كرُنجي احد ابطال البوير اليها على يد الانكليز ايضاً فهي سجنهم الذي يتَّقون بهِ كرَّة عدوّهم فيحولون دونهُ ببعد المزار وامواج البحار ويتركونهُ عرضةً للمذلّة والصغار الى ان يقضي نحبهُ وحيداً كَمِداً منقطعاً عن النصير والانيس

ولما كان كثيرٌ من القرآء لا يعلمون من امر هذه الجزيرة الا القليل رأينا ان نذكر شيئاً من صفتها وتاريخها وبيان موقعها من الارض فلخصنا عنها هذا الفصل المختصر على قدر ما يحتملهُ المقام



اما موقع هذه الجزيرة فهي مما يلي الشاطئ الغربيّ من افريقيا على ٦° و٩ من طول باريز غرباً وبين ١٥° و١٦° من العرض الجنوبي وطولها نحو ١٧ كيلومتراً في عرض ١٠ ٠ وهي جزيرةٌ صخرية تبلغ حزونها البحرية في بعض الاماكن ٦٠٠ متر ارتفاعاً واعلى قممها قمة ديانا وهي ترتفع ٨٥٥ متراً عن مستوى البحر وتُرَى من هناك الجزيرة باسرها وما حولها من البحر

وفي هذه الجزيرة مدينة واحدة تسمى جمستون قائمة على الشاطئ الغربي منها على قارة من الصخر مثلثة الشكل والى غربيّ المدينة الجبل المسمى بجبل السُلّم لان فيهِ سلماً مؤلفة من ٧٠٠ درجة يُرتقى فيها الى المصانع الحربية المشرفة في قمة هذا الصخر والى شرقيها تلٌّ يقال لهُ تل روبرت وعليهِ الطريق المؤدية الى المنزل الذي اعتُقل فيهِ نابوليون مدة وجودهِ في الجزيرة وهو الذي ترى صورتهُ وقد ابتاع هذا المنزل الامبراطور نابوليون الثالث سنة ١٨٥٨

اما تاريخ هذه الجزيرة فكان اكتشافها سنة ١٥٠٢ على يد ربانٍ من من البرتوغال يقال لهُ جوان دنوفا كان قد اضلّ سفينةً لهُ في تلك الناحية وكان اكتشافهُ لها في ١٨ اوغسطس من تلك السنة وهو يوم عيد القديسة هيلانة فسماها باسمها . ولما كانت سنة ١٥١٣ نفى اليها ألبوكرك فاتح الهند الشرقية نفراً من عساكر البرتوغال كانوا قد فرّوا من الجند وفيهم جماعةٌ من العبيد فكانوا اول من استوطن تلك الجزيرة فاقاموا بالوادي الذي فيهِ اليوم مدينة جمستون وشرعوا في الحرث . وفي سنة ١٦١٠ دخلت الجزيرة في حوزة الهولنديين فلبثت في ايديهم الى سنة ١٦٥٠ ومذ ذاك دخلت في حوزة انكلترا . وبعد ذلك توارد اليها اناسٌ من الهولنديين والعبيد وفلاحي الصين وملقا فنشأت هناك سلالةٌ ممتزجة من عناصر شتى فيها جمالٌ وبأس اما جلودهم فسمراء الى السواد .

وكانت هذه الجزيرة فيما سلف مرسىً للسفن الواردة من جهات الاتلنتيك والبحر الهندي فلما فُتح خليج السويس تحولت السفن اليهِ

فأهملت ومذ ذاك اخذ اهلها يهاجرون الى نواحي الرأس فقلّ عديد سكانها وكانوا سنة ١٨٦١ نحو سبعة آلاف نفس فاصبحوا بعد عشرين سنة خمسة آلاف

واصل هذه الجزيرة جبلٌ ناريٌّ شخص في ذلك الموضع ولا تزال فوّهتهُ ظاهرةً الى اليوم الا ان مواضع منها قد تفتتت وانهارت . وحولها جبالٌ مختلفة الارتفاع وصخورٌ ماثلة في الهوآء يبلغ ارتفاع بعضها من ٧٠ الى ٩٠ متراً وبعضها قد تشكل باشكالٍ غريبة ومنها اثنان يشبهان منظر انسانين قائمين سموا احدهما لوطاً والآخر امرأة لوط

واما هوآء الجزيرة ففي غاية الاعتدال وحرّ الصيف فيها لا يتجاوز حرّ انكلترا لكن يكثر فيها انتشار الضباب الرطب وهو الذي اضرّ كثيراً بصحة نابوليون . وكانت عند اكتشافها مكسوّةً بغاباتٍ عظيمة ولكن هذه الغابات انقرضت شيئاً فشيئاً بتسليط المواشي عليها حتى اصبحت اليوم خمسة اسداس الجزيرة ارضاً جرداء

وقد كان نفي نابوليون اليها سنة ١٨١٥ فلبث فيها الى ان توفي سنة ١٨٢١ وبقيت رمتهُ هناك الى سنة ١٨٤٠ حين نُقلت الى باريز ودُفنت في مدفنها المشهور تحت قبة الانفاليد حيث هي اليوم مزار الملوك والعظمآء والسيّاح من اقاصي الارض ولعلّ كرُنجي لايخرج من هناك الا كما خرج نابوليون فقد كُتب لكليهما حظٌّ واحد

ومما يحسن ايرادهُ هنا قصيدةٌ ظفرنا بها من نظم حضرة الشاعر المجيد نقولا افندي الحدّاد وصف فيها اسر كرُنجي ونفيهُ وما كان منهُ

حين استقبل الجزيرة وتذكر أسر ناپوليون فيها فتمثل لهُ طيفهُ مطلاً من اعلاها وكل ذلك من اختراع المخيّلة • والقصيدة طويلة تنيف على ثمانين بيتاً فاقتصرنا منها على الابيات الآتية قال في مطلعها

لا تسل اذ تلظّت الهيجآء حينما غصّ بالجيوش الفضآء
حينما زلزل العجيج الروابي حين مادت باهلها الغبرآء
وتوالى من البنادق برقٌ أُشعلت من وميضهِ البطحآء
ودوى في الفضآء قصف رعودٍ زُلزلت من هزيمها الارجآء
وتعالى من الدخان غمامٌ فاكفهرّت خوفاً لذاك السمآء
وهمى منهُ للقنابل سيلٌ هو نارٌ فوق الثرى لا مآء
فيلقٌ إثرَ فيلقٍ يترامى يا لجيشٍ ضاقت بهِ البيدآء
انكليزٌ مثل البحار اندفاقاً وبُوَرٌ هم صخرةٌ صمّآء
فرقةٌ بالعرمرمِ الجمّ تُرمى لم تُفدْها شجاعةٌ ودهآء
صدّت الكثرةَ الشجاعةُ حيناً انما كان للثبات انقضآء
واخيراً غدا البوير محاطين بسورٍ جدرانهُ الاعدآء
حين امسى تهوّراً كل إقدا مٍ ولم يبقَ في النجاة رجآء
فانقضت نوبة الجهاد وصارت باطّراح السلاح توقى الدمآء

ومنها يصف اشراف كرُنجي على الجزيرة وطيف ناپوليون

اقبل الليل غاشياً مثل بحرٍ فوق بحرٍ لسترهِ ارخآء
بحر همّ على الاسير خلا فيـ ـهِ باوهامهِ فطال الخلآء
فرأى في الفضآء طيف خيال قد كساهُ الجلال والخُيَلآء

طيف جبّارٍ أُمتلا الافق منهُ وبيمناهُ مُسَّت الجرباءُ
وكرملينُ قيصرٍ تحت رجليهِ واهرام الجيزة القعساءُ[1]
كلما ماد موطئاً قدميهِ عضدتهُ بكفها الجوزاءُ
حولهُ للملوك تيجان عزٍّ ألبستها غبارها الهيجاءُ
وسيوفٌ هام العدى ثلمتها وكستها لون العقيق الدماءُ
واكاليل الغار تزهو عليهِ لم ينلها مع التمادي العفاءُ
مشهدٌ هائلٌ لطيفٍ جليلٍ زُلزلت منهُ الصخرة الصمّاءُ[2]
ينجلي كلما دنا الفلك منهُ وتزيد الجلالة الشمّاءُ

***

عِم مساءً يا ذا الخيال المفدّى ليت كل الملوك عنك فداءُ
لم تسع اوربا علاك فأنّى تحتويها جزيرةٌ جرداءُ
كم عروشٍ تزعزعت تحت رجليـ ـك فلِمْ لا يغوص هذا العراءُ
أتهاب البحارُ منك انتهاراً ووقاراً يرتدُّ عنهُ الماءُ
ليت شعري هل حيث امسيت تاجٌ وسريرٌ وصولةٌ وبهاءُ
ومباني التويلري[3] باذخاتٍ جلست في صروحها العلياءُ
وقضاءٌ ودولةٌ وجنودٌ لك منها الاطاعة العمياءُ

---

(١) كرملين اسم قصر اسكندر الاول في موسكو وفي البيت تلميحٌ الى وصول نابوليون الى هذا القصر واهرام مصر مع ما بين الجهتين من بعد المسافة (٢) اشارة الى تزلزل الجزيرة يوم وفاة نابوليون (٣) اسم البلاط الامبراطوري في باريز

***

ايُّهاذا النزيل اهلاً وسهلاً لا يَرُعكَ السكون والإدجآء
لك في الحيّ سلوةٌ وعزآءٌ لك فيهِ تجلةٌ وسناءٌ
لك معنا مقامُ مجدٍ سنيٍّ لك منا مودةٌ واحتفاءٌ
ليس ذنباً جهادك الحق لكن اصبح الحق ما لهُ نصراءُ
سقطت دولة الضمير وولّت وتولّت مكانها الاهوآءُ
لم تعد قوةٌ تؤيد حقّاً فقضى الحقُّ للصحاب البقآءُ
طَمَعُ الناس في المنى قد تناهى ومآل الاطماع طبعاً عداءُ
فطغى الموسرون والاقوياءُ ومُني بالمظالم الضعفاءُ
لا يسؤك الهوان غدراً وظلماً لك من راحة الضمير جزآءُ
ولك القيد حليةٌ بك تزهو وبك السجن قد كساهُ البهاءُ
ترسف الاسد في القيود ولكن يُطلَق الكلبُ والظِبا والشاءُ
لك في الكتب مِدحةٌ وثناءٌ ولذي الغدر سُبَّةٌ وهجاءُ

***

قد كفاني نفيي لمنفاك اجراً فمقامي فيما اقمتَ علاءُ
ليَ من طيفك الجليل انيسٌ وبنجواك بهجةٌ وعزاءُ
ان سجناً فيهِ سُجنتَ زماناً ليَ صرحٌ ملاهُ منك السناءُ
والنسيم الذي تنفستَ منهُ لي حياةٌ بها يطيب البقاءُ
وضريحاً فيهِ ثويتَ نعيمٌ فيهِ أثوي حين الالهُ يشاءُ

تعريف الحسن

هو عنوان فصلٍ من مؤلف جديد يعرَف بكتاب النجوى تأليف حضرة الاب العلامة الفاضل الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي موضوعهُ « الصناعة والعلم والدين » اودعهُ من المعاني الفلسفية في هذه الاغراض الثلاثة ما تستنير بمشكاته الاذهان وتحلى بدرر الفاظهِ الآذان وقد رأينا ان نطرف القرآء ببعض ما انتهى الينا من شذراتهِ الرائقة تعريفاً بما تضمنهُ هذا السفر الجليل قبل بروزهِ وتشويقاً لنفوس المطالعين الى الظفر بمخبآت كنوزهِ . والفصل المذكور من « باب الصناعة » اوردهُ في صدر مباحثها وافتتحهُ بابياتٍ من نظم صاحب هذه المجلة كانت قد نشرت في مجلة الاجيال المشهورة . وهذا نص الفصل قال اعزهُ الله

وقائلٍ صِفْ لنا ما الحسنُ قلتُ لهُ هذا الذي ليس للتعريف فيهِ يدُ
لا يجهل الحسنَ ما بين الورى احدٌ وليس يعلم منهم كنههُ احدُ
سرٌّ يلوح وراءَ الحِسّ مرتسماً في النفس وَهوَ عن الادراكِ منفردُ
لكن ترى العينُ منهُ شكلَ حاملهِ وانما حظها مما ترى الجسدُ

يا نفس ان الحسن لموضوعٌ عامٌ تلهج بهِ ألسنة الخلق في كل أينٍ وآن . فكثيراً ما تسمعين في الهيئة الاجتماعية اصواتاً مرتفعة طوراً تسلب الحسن عن اشيآء وتارةً توجبهُ لاشيآء كأنها محيطة باصولهِ وفروعهِ ومبادئهِ ونتائجهِ . وترين بين القوم واحداً متولهاً مشغوفاً لدى انعامهِ النظر في عجائب الطبيعة ومحاسنها . وآخر مرتاحاً مسروراً بخصال زيد المحبوبة ومشمئزًّا نافراً من خلال عمرو المكروهة . وآخر حائراً مدهوشاً عند اذ يسرّح سوام الطرف في صرحٍ شاهق البنيان ويجيل قداح النظر في دميةٍ او صورةٍ شائقةٍ للعيان . وآخر مقشعرًّا مستنكراً حين اذ

تطرق أُذنيه ألحانٌ متدافعة ليست من الايقاع في شيء او اشعارٌ متوعّرة اللفظ قلقة التركيب مستهجَنة الاساليب . وآخرَ مستبشراً اثناء استماعهِ خطبةً انيقة العبارة رقيقة المعنى رشيقة الاشارة دقيقة المبنى . وفي الجملة فلا ترَين احداً ايًا كان من افراد الأُلفة البشرية الا يشعر بالحسن والقبح مميزاً بينهما في الخَلق والخُلق والصِناعة قاطعاً بهما سلباً او ايجاباً كأن الحسن حقيقةٌ صريحة لا خفآء فيها

بيد انكِ اذا سألتِ أولي الذوق والذكآء من اولئك اللاهجين بالحسن عن اصلهِ وماهيتهِ ورسمهِ وحدّهِ يعودون أحير من ضبّ بعضهم يتلعثم وبعضهم لا يحير جواباً كأنهم بلسان الحال يقولون مقالِ القيصريّ(١) « الحسن شيء يُدرَك بالذوق ولا يوصَف » او يتمثّلون بقول الشاعر(٢)

شيءٌ بهِ فُتِنَ الورى وهو الذي   يُدعى الجمالَ ولستُ ادري ما هُوَا

واذا اتجهتِ الى الحكمآء منذ عهد افلاطون الى هذا العصر وتصفحتِ مقالاتهم في الحسن الكثيرة العدد تُلفينهم في مباحثهم العويصة

---

(١) في شرحهِ تائية ابن الفارض . وورد في المثل السائر لابن الاثير ما نصه « شيئان لا نهاية لهما البيان والجمال » (٢) روى شهاب الدين الحلبيّ في صناعة الترسل قول الشاعر على هذه الصورة

شيءٌ بهِ فتن الورى غيرُ الذي   يدعى الجمال ولست ادري ما هوا

بناءً على ان الجمال في البيان لا يدعى جمالاً وانما الجمال في الانسان والبنيان اما انا فعلى مذهب الفلاسفة القائلين بان الحسن اسم مشترك مشاع بين الفصاحة والصباحة يصدق على كل ما اعجب الناظر وخفّ على السمع وابهج الخاطر وامتزج بالطبع في الخَلق والخُلق والصناعة . ولذلك أوردتُ البيت في المتن كما أوردتُ وتطاولتُ على صاحبهِ وأوجبتُ ما نفى وعكستُ ما عكسَ ومن ذاق عرَف ومن طالع هذا الفصل أنصف

متضاربي الآرآء متبايني المذاهب مُعظمهم ولا سيما فلاسفة المانيا ينحون نحو الغُموض في مناحيهم المتناقضة المتفقة على القآء اصحابها والمنتحلين لها في خضمّ الابهام وهوّة الارتياب

اذا تبينتِ ذلك فاعلمي ان الحسن لا يُحدّ على الحقيقة حدًّا وافياً ٠ وقد علّم القديس أوغسطينوس السبب في ذلك فقال ما مفادهُ « يمكن أن يُحَسّ بالحسن ويُميَّز ويتصوَّر ولا يمكن ان تُوضَح ذاتهُ من حيث ان الجمال كالحق والخير انما هو الله عينهُ ٠ ولما كان تعالى لا يمكن ان تُعرَف ماهيتهُ نتج ان الحسن لا يمكن ان تُعرَّف حقيقتهُ » ٠ وعليهِ فكل الحدود التي اتت بها الفلاسفة من قدمآء ومتأخرين هي ناقصة يدلّ أسدُّها على معناهُ النظريّ او على بعض خواصّهِ او شروطهِ لا على حقيقتهِ وما هيتهِ ٠ وهآءنذا اورد لكِ هنا حدود اشهر العلمآء الباحثين في الحسن وأخصّ اقوالهم الشارحة لهُ فاقول

قال افلاطون « الحسن ضيآء الحق[1] » ٠ ووافقهُ على ذلك القديس اوغسطينوس ورأى بسامي نظرهِ ان الحسن قائمٌ « بالوحدة المقترنة بالتنوُّع » قال « ان الوحدة هي صورة الحسن وذاتهُ في كل جنس » وأخذ إخذهما لامِناي فقال « الحسن في ذاتهِ انما هو مظهر الحق » وقال هاجل « الحسن اظهار التصوُّر حسياً » ٠ وكأنَّ هذا التعريف وتعريف جفُروَى

(١) بعض المحققين يعزون هذا التعريف الى افلاطون و بعضهم الى بلوتينوس و بعضهم الى القدّيس اوغسطينوس ٠ وفي حكمي أن نسبتهُ الى افلاطون أصحّ من حيث ان لهُ عليهما فضل التقدم في البحث عن الحسن وهما نسجا على منواله في ذلك والله اعلم

واحد وهو « الحسن مجلى الغير المنظور في المنظور » • وقال شالِنج « هو غير المحدود في المحدود » وقال كَنْط « الحسن ما يُعجب الخيال دون ان يضادّ شرائع العقل »

وقال ابن سينا « جمال كل شيء وبهآؤهُ هو ان يكون على ما يجب لهُ » • وحذا حذوهُ الغزّاليّ حيث قال « كل شيء فجمالهُ وحسنهُ في أن يحضر كمالهُ اللائق بهِ الممكن لهُ • فاذا كان جميع كمالاتهِ الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فلهُ من الحسن والجمال بقدر ما حضر » • وقال وُلْفْ ما مفادهُ « ما يُعجبنا يسمى حَسَناً وحسنهُ قائم بالكمال وهو يروقنا بقوّة ذلك الكمال المتّسم هو بهِ »

وعلّم الفيلسوف تبعاً لسقراط هذا المبدأ الجليل وهو « لا حَسَن الا ما كان خيراً (١) » • ووافقهما عليه آبآء الكنيسة فقال القديس امبروسيوس « الجميل ما كان صالحاً » وكذا قال القديس ديونوسيوس واقليميس الاسكندريّ • وسأل نفسهُ القديس غريغوريوس النيصيّ قائلاً « ما الحسن » وعقّب مجيباً « ما كان من كل وجهٍ جيداً شهياً »

ولقد احسن شمس المدارس اذ قال « ان الجميل والخير متحدان بالذات لابتنآئهما على شيء واحد اسيء على الصورة ولهذا يوصف الخير بكونهِ جميلاً • ويقال جميل لِما يُعجب الناظر اليهِ فهو قائم بالتناسب المقتضَى » • وقال في محل آخر وما اجلّ قولهُ « يكون الشيء حَسَناً حين

---

(١) جآء في كتاب المقابسات لابي حيان التوحيدي ما نصهُ « كل خيرٍ حسن وليس كل حسن خيراً » • ولكن الحسَن حق الحُسن ينبغي لهُ أن يكون خيراً

اذ تتألف صورته في خلال مادةٍ كل اجزآئها متناسبة » . وقال السيد بوسُوِت « الحسن إنْ هو الا تناسبٌ او مساواةٌ او بالاحرى نوعٌ من الوحدة » وقال ايضاً « هو النظام المرئيّ » . وقال هِتْشازون وتبآعهُ ما ملخصهُ « الحسن تصوُّرٌ تنشئهُ في انفسنا اشيآء والشيء اذا كان على الحقيقة حَسَناً يكون ذا خيريةٍ وصلاح وحسنهُ قائمٌ بالمساواة والتنوّع . والاشيآء المتساوية كلما كانت اكثر تنوّعاً ازدادت جمالاً وسنوعاً . والاشيآء المتنوّعة كلما كانت اكثر مساواة ترقّت في مدارج الحسن والبهآء » . وقال مَرْمُنْتال قولاً شارحاً عاماً سديداً وهو « الحَسَن كل ما يحوي في ذاتهِ ما يُولِدُ في العقل تصوّرَ التناسب »

وعلى الجملة فان الحسن انما هو الوحدة والحق والخير والكمال والنظام ساطعةً انوارُها ومشرقةً اضوآؤها بين مظاهر الوجود منوّرةً للعقل مخاطبةً القلب مسترقةً الارادة مؤثّرةً في المصوّرة وسائر القوى الباطنة مدهشةً الانسان كلَّهُ وخاطفةً بَصَرَهُ وبصيرتهُ . يسمع وينظر فيُدرِك ويفهم فيحبّ ويعجب طائراً على اجنحة النجوى ناسياً نفسهُ في بحبوحة التأمل والانجذاب والتنعُّم . وهنا يجدر بي أن أُورد لكِ ما اتى بهِ في هذا الصدد الخطيب الخطير الاب لاكُرْدار جاعلاً مقالهُ مقامَ ختامٍ لهذا الفصل وذريعةً تخطٍّ الى الفصل التالي. قال « الجمال ظهورُ الوجود في النور والنظام والعظمة والجودة وهي صُوَرُ نورٍ ونظامٍ وعظمةٍ وجودةِ الله »

التلغراف الشمسي

ويسمى بالتلغراف البَصَري والاشعة المنعكسة وهو نوعٌ من التلغراف الهوآئي لا يُحتاج فيهِ الى سلك ولا بطاريات ولا غير ذلك من جهاز التلغراف الكهربآئي ولكن تستخدم فيهِ اشعة الشمس على طريقٍ مخصوص كما سنذكرهُ . وهذا التلغراف يؤَثر استخدامهُ في المواقع الحربية لبعدهِ عن الخطر الذي يكون على التلغراف السلكي لأن الانبآء ترسل بهِ محمولةً على اشعة الشمس فتمرّ من فوق رؤوس العدوّ ولا يمكن ان يُعترَض مسيرها مهما بعدت المسافة بين فريقي المتخاطبين ومهما كان حال الطريق التي تجتازها

قيل واول ما استُعمل هذا النوع من التلغراف في حرب القريم استخدمهُ الروس في حصار سبستبول واقتبسهُ الانكليز عنهم الا انهم لم يعتمدوهُ في خدمة الجيش الا بعد ذلك بما ينيف على ثلاثين سنة اي سنة ١٨٨٥ في وقائع الهند ومذ ذاك اصبح من لوازم الجيش حتى كانت كل فرقةٍ في اوان الحرب تجهز بآلةٍ منهُ . وقد كان اول استخدامهم لهُ سنة ١٨٨٠ في حربهم الاولى في الترنسفال وذلك ان فرقةً صغيرة من الحرس الانكليزي كانت محصورةً في احدى القلاع وانقطعت السبل بينها وبين سائر الجيش فلما تضايقت عمد احد قوادها الى مرآةٍ ووجَّه الاشعة عنها الى ناحية المعسكر حتى اذا تنبهوا لهُ ورأى وميض مرآةٍ من ناحيتهم تناول قبعتهُ وجعل يقطّع الاشعة على مثال الخطوط المستعملة في التلغراف السلكي

ففهموا اشارتهُ واجابوهُ بالاشارات نفسها ان النجدة ستكون عندهم عما قريب

اما صفة المرآة التي تستخدم لهذه الغاية فتكون عادةً مستديرة ويترك في وسطها دائرة صغيرة شفافة تعرَّى من المعدن ويجعل امامها ابرةٌ تشير الى الموضع الذي ترسل اليهِ الاشعة يُنظَر اليها من تلك الدائرة فتحكَّم على الجهة المقصودة . ويكون تركيب المرآة بحيث يمكن ان تدار الى كل ناحية تبعاً لموضع الشمس واذا كانت الشمس الى ظهر المراسل استعان بمرآةٍ اخرى مركبةٍ معها تعكس الاشعة على المرآة الاولى ثم تنعكس عنها الى الجهة التي يريدها

ثم ان الاشعة المنعكسة تذهب في مسافاتٍ في غاية البعد وكلما كانت المرآة اوسع كان مرمى الاشعة ابعد حتى يروى ان الربان غلاسفُرد الاميركاني ارسل الاشعة الى مسافة ١٨٣ ميلاً بمرآةٍ قطرها ٨ قراريط . على ان هذا انما هو في البلاد التي شمسها حارّة وسماؤها صافية فهي في مثل فرنسا وانكلترا لا تذهب اكثر من عشرين ميلاً لقلة صفآء الجوّ وضعف الاشعة الا في احوالٍ مستثناة

وقد استعان الانكليز بهذه الاشعة في حربهم الحالية مع البوير فاستمرّت الانبآء متواصلةً بين الجيش والمحصورين في المدن اشهراً متوالية لا يغيب عن احد الفريقين شيءٌ من احوال الآخر . وفي الجملة فان التلغراف الشمسي الى اليوم افضل تلغراف يستعمل في المواقع الحربية ولا يفضلهُ الا تلغراف مركوني اذا تم اختراعهُ وأُخرج من طور التجربة الى مقام الاستعمال

فوائد

ترصيع المعادن بالكهربائية — تؤخذ القطعة المراد ترصيعها ويُرسَم عليها ما يراد من نقشٍ او كتابة بمَدُوف ملح الرصاص والصمغ وبعد ان يُحكم الرسم ويحرَّر يُطلى ما حولهُ بالشمع او نحوهِ من المواد المانعة وتوضع القطعة في مغطسٍ من مخفف الحامض الكبريتيك فينحلّ الصمغ ويعمل الحامض في المعدن فيحفرهُ ومتى صار الحفر في العمق الكافي تناط القطعة بطرف سلك آلة تلبيس وتغمس في المحلول المراد ترصيعها بهِ فضةً كان او ذهباً وتترك هناك حتى يمتلئ المكان الغائر بالحفر وحينئذٍ يزال الشمع ويُصقَل ظاهر القطعة لازالة كل نتوء

ويمكن ان يجري العمل ايضاً على العكس اي ان يكون النقش نفسهُ بالشمع ونحوهِ ويُحفَر ما حولهُ ثم يُملأ على الطريقة نفسها

حفظ الزيت من الفساد — اذا كان الزيت طيباً وخيف ان يدخلهُ الفساد يكفي ان يُصَبَّ في كل زجاجةٍ منهُ مقدارٌ من الكحل (السبيرتو) على ٨٠° او ٩٠° بحيث يبلغ الكحل ٥ سنتيمترات فوق وجه الزيت ثم تُسدّ الآنية وتوضع قائمةً

اما اذا كان الزيت فاسداً واريد ازالة الفساد منهُ فوصف لهُ بعض اهل التجربة الطرائق الآتية

(١) تؤخذ ١٠٠ جزء من الزيت ويضاف اليها ١٥٠ جزءًا من المآء على ٣٠° مذاباً فيهِ مقدارٌ من الملح على نسبة ١٢ او ١٣ ٪ ويحرَّك المزيج حتى يتخلل المآء جميع اجزآء الزيت ويعاد العمل الى ست مرات فيغود الزيت نقياً خالصاً

(٢) يضاف الى الزيت ١٠ ٪ من الكحل ويحرَّك تحريكاً متواصلاً مدة ساعات يترَك بينها فتراتٌ قليلة ثم يصفى ويعاد العمل ثلاث مرات . اما الكحل الذي يبقى بعد ذلك فيمكن ابقآؤهُ صالحًا للاستعمال بان يصفى كل مرةٍ على البوتاس

(٣) يستعمل في ذلك مكلس المغنيسيا بان يؤخذ منهُ ٥ اجزآء تُجعَل في ٨٠ جزءًا من الزيت ويحرَّك خمس او ست مرات في اليوم مدة ١٥ دقيقة وبعد خمسة او ستة ايام يصفى

صفة ملُغَم لتغشية الجِبس — يؤخذ ثلاثة مقادير متعادلة من القصدير والبزموت والزئبق ويذاب البزموت والقصدير معاً ومتى تم ذوبانهما يضاف اليهما الزئبق مع التحريك . وعند ارادة الاستعمال يسحق الملغم بشيء من آح البيض (الزلال) ثم يُمدّ كما تُمدّ الالوان

صفة حبر ختم — يوزن ٧٥ جزءًا من المآء و ٧ من الغليسرين و ٣ من شراب السكر و ١٥ من الانيلين ثم يجعل المآء والشراب والغليسرين على النار ومتى بدأ الغليان يضاف الانيلين ويحرَّك الى ان يذوب بتمامهِ

اسئلة واجوبتها

شفا عمرو — ما معنى الإيفة الواردة في كتب العهد القديم وكم تقديرها في عهدنا الحاضر ومن اي لغةٍ هي سعد حنا سعد

الجواب — الإيفة مكيالٌ للحبوب ونحوها اختلفوا في موسوعها والمحققون من المتأخرين على انها تسع نحو ٣٨،٨٨ لتراً واصل الكلمة اشورية وقيل مصرية وهو الاكثر . ويستفاد مما جآءَ في نبوءَة حزقيال (٤٥ : ١١) ان الايفة والبثّ واحد وكلاهما يسع عُشر الحُمَر الا ان الايفة في الجوامد والبثّ في السوائل

الدقهلية — وقفت في شرح اطواق الذهب للعلامة الزمخشري على خطبة بليغة لسحبان وائل الذي يضرب بفصاحتهِ المثل فهل رُوي لهُ غير هذه الخطبة وهل لهُ مؤلفات يمكن الوصول اليها حنا يوسف منصور

بمركز الدقهلية

الجواب — لم نقف لهُ على شيءٍ غير الخطبة التي اشرتم اليها واما هل لهُ مؤلفات فان الرجل كان بدوياً امياً وكانت اقوالهُ تُتناقل على الالسنة كسائر كلام البدو نثراً كان او نظماً

القاهرة — ارجو الجواب على هذين السؤالين

(١) اصطلح النصارى في كتبهم ان يقولوا « الروح القدس » بجعل القدس نعتاً للروح مع ان الذي نراهُ في كتب العرب « روح القدس » بالاضافة لان القدس مصدر فكيف ذلك

(٢) جآء في ضيآئكم المنير في الكلام على علوم العرب (ص ٦٧٦) ذكر علمٍ يسمَّى « علم الاكتاف » فما المراد بهذا العلم وما موضوعهُ

عبده داود

الجواب — اما الروح القدس فالظاهر انهم عدلوا فيهِ الى النعت للتمييز بينهُ وبين روح القدس المراد بهِ جبريل عند المسلمين فاخرجوهُ مخرج الرجل العدل والشاهد المَقنَع ونحو ذلك مما نُعت فيهِ بالمصدر

واما علم الاكتاف فقال في كشف الظنون « هو علمٌ باحث عن الخطوط والاشكال التي تُرى في اكتاف الضأن اذا قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالتها على احوال العالم الاكبر من الحروب والخصب والجدب وقلما يُستدَلّ بها على الاحوال الجزئية لانسانٍ معين . يؤخذ لوح الكتف قبل طبخ لحمهِ ويُلقى على الارض اولاً ثم يُنظَر بهِ فيستدَلّ باحوالهِ من الصفآء والكدر والحمرة والخضرة على الاحوال الجارية في العالم وتُنسَب اطرافهُ الاربعة الى جهات العالم ويُحكَم بذلك على كل صقعٍ منها باحوالٍ متعلقة بها » . اه

رومية — ارجو من فضلكم الاجابة على ما يأتي

(١) كثيراً ما نرى المثابة تستعمل بمعنى مكان غير اننا لم نعثر على

هذا المعنى في كتب اللغة فما الوجه في هذا الاستعمال

(٢) ما معنى هذين البيتين الواردين في الضيـآء (السنة الاولى صفحة ٥٢٨) خطاباً للشمس

انتِ الحبيبة للسارين ضلّ بهم وخد المهارى وقد مالوا بأكوارِ

يرون منكِ سبيل الامن واضحةً وقد حماها زئير الضيغم الضاري

الشماس برنردوس غصن

تلميذ مدرسة اليونان برومية

الجواب — المثابة في الاصل الموضع الذي يُثاب اليهِ اي يُرجع اليهِ مرةً بعد اخرى ثم أُطلقت على المنزل والمجتمع واستعملها المولدون بمعنى المنزلة توسعاً على حد استعمال المنزلة نفسها يقولون هذا بمثابة ذاك كما يقال هو بمنزلتهِ

واما معنى البيتين فهو ان الشاعر يصف الشمس بانها محبوبة يشتاقها السارون اي المسافرون ليلاً اذا ضلّت بهم المهارى اي الابل المهريّة وهي المنسوبة الى مَهْرة بن حيدان قوم من العرب كانوا يحسنون القيام على الابل . والوخد السير السريع . والاكوار الرحال . ومعنى ميلهم بالاكوار تَوَدانهم بالنعاس اذا طال عليهم السرى . ثم يقول ان هؤلآء السارين يرون سبيل الامن واضحةً امامهم لا خوف على السالك فيها لو كانت الشمس طالعةً ولكنهم لا يستطيعون سلوكها خوفاً على انفسهم من السباع لانها تنتشر عادةً في الليل فتحميها عليهم

فكاهات

وقفنا على الموشح الآتي من نظم حضرة الاديب المتفنن ميشيل افندي مرشاق وهو موشحٌ مبتكر جمع فيهِ بين الحماسة والنسيب وجعل غرضهُ التنويه بما اشتهر عن نسآء البوير من الحمية والشجاعة والاستبسال في سبيل الدفاع عن الوطن فأحببنا نشرهُ لما فيهِ من الفكاهة والحث على الاقدام والوفآء مع ما حُلّي بهِ رشاقة النظم وجودة السبك وهو هذا

في جنوبي افريقيا

هجم الليلُ بجيشٍ ظافرِ يقتفي إثرَ النهار الدابرِ
غاشياً اربُعَ حيٍّ داثرِ ليس فيهِ من صفآء الغابرِ
غيرُ روعٍ وانين الحزَنِ

عسكرَ الليل بهاتيك البطاح فكسا انحآءها داجي الوشاح
واستتبَّ الصمت في تلك النواح واستراح القوم لكن للصباح
وغدا الكل غريق الوَسنِ

بعضهم في راحةٍ من ذا الرقاد وفريقٌ في فراشٍ من قتاد
يحلم الكلُّ بان النصر ساد وبنيهم ظفروا بعد الجهاد
فتردَّوا حلَّة الفوز السنِي

تلك احلامٌ يلاشيها النهار　　كدخانٍ او بخارٍ او غبار
كم تمني النفسَ آمالٌ كبار　　في منامٍ فاذا ما النجمُ غار
سَحَراً ولّت كأن لم تكنِ

***

خرجت ذاتُ خباً من خدرها　　دُميةٌ قد بلغت من عمرها
عمرَ بدرٍ من خفايا امرها　　سرُّ حبٍّ كامنٍ في صدرها
راح يبديهِ نحولُ البدنِ

غادةٌ طالت ليالي شعرها　　فبدا زاهي الضحى من نحرها
اعدتِ الصبَّ ضنىً من خصرها　　لو حبتهُ رشفةً من ثغرها
نال بُرءَ السقم بالشهد الجني

وتلالا البدرُ من بين الغمام　　فتوارى الليل وانجاب الظلام
وبدت للعين آثارُ السقام　　في فتىً صيرهُ فرطُ الغرام
هائماً ما بين تلك الدمنِ

مغرمٌ صبٌّ شديدُ الولعِ　　قد قضى ليلَ السليم الموجعِ
واقفاً يسألُ ربعاً لا يعي　　هاتفاً يا ربع هل من مرجعِ
لصفا عيشٍ بمغناك هنِي

فبدت غادتهُ عن كثبِ　　مثل شمسٍ برزت من حجبِ
فاعترى العاشقَ فرطُ الطربِ　　وتراءى الحقُّ مثل الكذبِ
فمشى يسرعُ حيناً وينِي

***

والتقى الحِبانِ وامتدّ العتاب　　بعد هجرٍ لجّ في طول غياب
وخلا الجوُّ وصفو الحبّ طاب　　حيث لا عذلٌ ولا ثَمّ حجاب
لهما غير حجاب الأغصُنِ

ورنت تنظرُ في ذاك القوام　　وهي قد مال بها سكرُ الغرام
فاستبانت تحت استار الظلام　　رمح قدٍ وعلى الرمح حسام
قد تدلّى فوق درعٍ خَشِنِ

اجفلت فوراً وقالت عجبي　　ذا جديدٌ قال ذا الأجدَرُ بي
انتِ في قلبي وذا في منكبي　　ولقد اعددتهُ للنوَبِ
قالت البين الذي يحزنني

فاستكان الصبُّ حتى استعبرا　　جزعاً خوف النوى ثم انبرى
فدنا مستعطفاً معتذرا　　قائلاً صبراً على ما قُدِرا
انني عن مقصدي لا انثني

فاجابت كيف للحرب تسير　　أوَلا تحنو على قلبي الكسير
انت في روض الصبا غضٌّ نضير　　انت كالغصن وكالظبي الغرير
فدعِ السيف ولبس الجوشنِ

فتلظى عند ذا الصبُّ وقال　　ان هذا الغصن رمحٌ في القتال
ومتى امتدّ الوغى والطعن طال　　تعلمي ان نسا الإترنسفال
ارضعتني مجدها في اللبنِ

عشتُ فيها ولذا عنها اذود　　في مُثار النقع ما بين البنود
دافعاً عن حوضها كل وَرُود　　مُقسِماً في حربها ان لا اعود
دون ردّ الطامع الممتهنِ

غرّ اعدانا غرورُ الذهبِ　　وغرورُ المال اصل العطبِ
فأتونا من ورآء الحجبِ　　طمعاً فيهِ فيا للعجبِ
من تمادي الطامع المفتتنِ

فسعت اقدامهم نحو الردى　　والتقت منا العدى تبغي العدى
وتبدى الحقد والموت بدا　　خاطفاً من كل جيشٍ عددا
ضاحكاً منّا ومن ذي السننِ

بفعالٍ روّعت قلب العباد　　وحروبٍ تسلب المرءَ الرشاد
نشتري المجد وتحرير البلاد　　حيث تبقى مثلاً في كلّ ناد
وهي تربو فوق هذا الثمنِ

فدعي قلبي بكفيكِ اسير　　ودعيني لوغى الحرب اسير
فرأت غادتنا أن لا نصير　　غيرفكرٍ جآءَ من اقصى الضمير
فتلت ذا وحدهُ ينصفني

وانقضى الليل وقد حمّ الفراق　　وانتهى ضمٌّ ولثمٌ واعتناق
فمضى والقلب منهُ باحتراق　　وهي من ذا بعذابٍ لا يُطاق
هتفتْ يا مهجتي لا تنسني

وقفت ترمقهُ رمق الظبا   وهو يمشي سائراً بين الربى
وانثنت مسرعةً نحو الخبا   ثم قالت سار والقلبَ سبى
لو تشبهتُ بهِ ما ضرَّني

***

يومَ وبلٍ فيهِ هطل الغيث طال   وعلى صُمّ الصفا فوق الجبال
هجم الجيشان واشتدّ القتال   وهناك التحمت اسد الرجال
والردى رفرف فوق القُنَنِ
كان ذياك الفتى في المعمعهْ   والى جانبهِ في الموقعهْ
فارسٌ يكتم وجهاً قنَّعَهْ   وهو يحمي تِربهُ ان تصرعَهْ
غِيلةً ايدي صروف الزمنِ
والحّ الحرب واشتدّ الوعى   وبدا من هولهِ ما روّعا
فأقاما ثم بعدُ اندفعا   وانتهى الإقدام حتى صُرِعا
ثم راحا بين ايدي الحُصُنِ

***

عسعس الليل وخفّ الاضطراب   من صليل السيف مع وقع الحراب
وتوارى السيف في طيّ القراب   بعد ان قد كان مثواهُ الرقاب
واستراح الكلُّ بعد الوهنِ
إثرَ طعنٍ قد جرت منهُ الدماء   بين هاتيك الروابي جريَ ماء
وغبارٍ جاز آفاق السماء   كنفوسٍ قد تسامت للعلاء
تشتكي لله مما قد جُني

* * * * * * * *

حشرجت روح الفتى في صدرهِ وعلى صوتٍ صحا من سكرهِ
فأجال الصوتَ ذا في فكرهِ غير أن قد عاقهُ عن خُبرهِ
غشيةٌ من دونها الحِسُّ فني

كان ذا الصوت انين الفارسِ اذ دنا زحفاً بقلبٍ يائسِ
واني يبسط كفَّ اللامسِ آملاً توديع جسمٍ دارسِ
من حبيبٍ بالردى مرتهَنِ

ثاب رشد الشاب اذ ذاك اليه واذا جسمٌ ثوى بين يديه
ولدى إلقآء عينيهِ عليه صاح والموت بدا من شفتيه
صدقت فيما وَعَتهُ أُذُني

كانت الغادةُ ذياك الشجاع برزت للحرب يخفيها القناع
بحياةٍ وقفتها للدفاع عن فتىً في حبهِ الروح تباع
ما لها غير الوفا من ثمنِ

ثم قالا قبل ان حمَّ الفراق فلنمت لكن لذياك التلاق
اسلما الروحَ بُعيد الاعتناق واستراحا من عنآء ومَشاق
في وجودٍ مفعمٍ بالمِحَنِ

وقف المجدُ على تلك العظام هاتفاً من فوق هاتيك الإكام
كل من يحيون ما بين الانام فليعيشوا هكذا عيش الكرام
وليموتوا في سبيل الوطنِ